عقيدةُ الألفيَّةِ السَّعيدةِ وتأثيرُها في الفكر الصَّليبيِّ تجاه العالم الإسلامي

إعداد

أ. د / مصطفى محمد عبد النبي محمد عوض

الأستاذ المساعد بقسم التاريخ والحضارة

بكليَّة اللغة العربيَّة بالقاهرة

جامعة الأزهر

عقيدة الألفيَّة السَّعيدة وتأثيرها في الفكر الصَّليبيَّ تجاه العالم الإسلامي

مصطفى محمد عبد النبي محمد عوض

قسم التاريخ والحضارة بكليَّة اللغة العربيَّة بالقاهرة جامعة الأزهر- مصر .

البريد الإلكتروني: mostafaawad2416.el@azhar.edu.eg

الملخص:

تعدُّ الأفكارُ التي كانت تتحدَّث عن نهاية هذا العالم مع نهاية الألف الأولى من الميلاد، وكذلك الأفكار المُتعلِّقة بالعالم الآخر، هي إحدى روافد الحركة الصَّليبيَّة، فقد انتشر في أوربا الغربيَّة مجموعةٌ من الأفكار، والقصص، والحكايات، والأساطير التي تتكلَّم عن قرب نهاية هذا العالم باكتمال الألف الأولى من ميلاد المسيح تقريبًا سنة ١٠٣٣م؛ وأيَّد هذه الأفكارَ ظهورُ بعض الظواهر سواءً الفلكيَّة أو الطبيعيَّة، والتي ربطها بعضُ المسيحيين بقرب نهاية العالم.

وعقيدة الألفيَّة السَّعيدة من ضمن عقائد المسيحيَّة المهمَّة، فهي من الأركان الثابتة لديهم، ويعدُّ العصرُ الذهبيُّ لهذا الاعتقاد بعد القرن الرابع الميلاديِّ، ولعل الخطورة التي تتمثَّل في هذا الاعتقاد ليس في عمليَّة العودة الثانية للمسيح عليه السلام، بل في أنَّ هذا الاعتقاد مُرتبِطٌ لديهم بالقضاء على الإسلام وأَتْباعه، ونهاية هذا الدين، ولعلَّ الدليل على ذلك ما ذُكر في الحملة الصَّليبيَّة الأولى عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م من حديث الصَّليبيِّين مع بعضهم بضرورة القضاء على الإسلام وانتزاعه من جميع المناطق التي هو فيها في الأرض، وذلك قبل بداية الألفيَّة؛ ليأتيَ المسيحُ ولا وجودَ لهذا الإسلام.

الكلمات المفتاحية: عقيدة- الألفية السعيدة- تأثير- الحروب الصليبية- العالم الإسلامي.

The doctrine of the happy millennium and its impact on the Crusades thought towards the Islamic world

Mustafa Mohammed Abdul Nabi Mohammed Awad
Department of history and civilization, Faculty of Arabic language, Cairo, Al - Azhar University, Egypt.
E-mail address mostafaawad2416.el@azhar.edu.eg:

لاسفقشؤف

The ideas that were talking about the end of this world with the end of the first millennium of birth, as well as ideas related to the other world are one of the tributaries of the Crusader movement, it spread in western Europe a set of ideas, stories, tales, and legends that talk about the near end of this world with the completion of the first millennium of the birth of Christ approximately in ١٠٣٣Ad; these ideas supported the emergence of some astronomical or natural phenomena, which some Christians associated with the near end of the world.

The Happy Millennium Doctrine is among the important doctrines of Christianity, and it is one of their pillars. The golden age of this belief is after the fourth century AD, and perhaps the danger of this belief is not the second return of Christ . Rather, this belief is linked to the elimination of Islam and its follow-up. The first crusade of 488 A.D./1095 mentioned the crusaders' conversation with one another about the need to eliminate and extract Islam from all areas in the land before the beginning of the millennium; Let Christ come and there is no such Islam.

Key words: doctrine - the happy millennium - influence - the Crusades - Islamic world.

المُقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيِّين محمَّدٍ ﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فتعدُّ الأفكارُ التي كانت تتحدَّث عن نهاية هذا العالم مع نهاية الألف الأولى من الميلاد، وكذلك الأفكار المُتعلِّقة بالعالم الآخر، هي إحدى روافد الحركة الصَّليبيَّة، فقد انتشر في أوربا الغربيَّة مجموعةٌ من الأفكار، والقصص، والحكايات، والأساطير التي تتكلَّم عن قرب نهاية هذا العالم باكتمال الألف الأولى من ميلاد المسيح تقريبًا سنة ١٠٣٣م؛ وأيَّد هذه الأفكارَ ظهورُ بعض الظَّواهر سواءً الفلكيَّة أو الطبيعيَّة، والتي ربطها بعضُ المسيحيِّين بقرب نهاية العالم.

وصادف هذه الأفكار أنَّ عقيدة النصارى الكاثوليك عشيَّة الحروب الصَّليبيَّة لم تكنْ مُحدَّدةَ الإطار العامِّ لها، ولم يكنْ القساوسة والأساقفة على قدرٍ عالٍ من الكفاءة التي تُؤهِّلهم لتولِّي مثل هذه الوظائف على المُستوى الأخلاقيِّ والفكريِّ، إضافةً إلى أن المجتمعَ الأوروبيَّ يُلاحظ عليه أنه كان ذا طابعٍ ريفيٍّ؛ حيث يجمعُ ما بين الأسطورة وعبادة الظواهر الطبيعيَّة، فضلًا عن مزيج من التعاليم المسيحيَّة.

والجماهير التي آمنتْ بعقيدة الألفيَّة السَّعيدة كانت توَّاقةً لضمان الخلاص، وبدأتْ هذه الحالةُ تُترجَم لحقيقةٍ واقعيَّةٍ عن طريق التأكيد على ضرورة الرحلة لبيت المقدس؛ واستجابت الجماهيرُ العريضةُ لذلك، ولوحظ زيادةٌ في عدد

الرحلات للقدس والتي قام بها الحُجَّاج من غرب أوربا خلال السَّنوات القليلة التي تسبقُ الألف الأولى من الميلاد.

ولا شكَّ أنَّ الحروب الصَّليبيَّة من حيثُ مُقدِّماتُها ومفاهيمُها والنتائجُ المُترتِّبة عليها ما زالت تستأثرُ أقلام كثيرٍ من الباحثين في الشرق والغرب، وأُنتجت العديد من الأبحاث والمُؤلَّفات بهذا الصَّدد، لكن ما زالت هناك جوانبُ كثيرةٌ من هذه الحروب الصَّليبيَّة تحتاجُ لمزيدٍ من البحث والدِّراسة، فالمكتوب عن الحروب الصَّليبيَّة يركِّز – في الغالب الأعمِّ – على الوقائع لهذه الحروب والمعارك، بينما يظلُّ مجال الحديث والاهتمام بالسببيَّة التاريخيَّة لهذه الحروب، ومُحاولة استقصاء نتائجها والعِبَر المُستفادة منها محدودًا بعض الشيء، ومن هذا المنطلق كان التفكيرُ في هذا البحث؛ الذي هو بعنوان **"عقيدة الألفيَّة السَّعيدة وتأثيرُها في الفكر الصَّليبيَّ تجاه العالم الإسلامي"**.

والقارئ لهذا البحث سيجدُ أنَّ الإشكاليَّة التي يطرحُها ويدورُ حولها ويسعى للإجابة عنها هي: مدى تأثير عقيدة الألفيَّة السَّعيدة في إثارة الحروب الصَّليبيَّة؟، وإلى أيِّ حدٍّ دفعتْ هذه العقيدةُ الجماهيرَ الأوروبيَّة لخوض غمار الحروب الصَّليبيَّة؟، هذا وقد اقتضتْ طبيعةُ هذا البحث أنْ تكونَ خُطَّتُهُ على النَّحو التالي:

مُقدِّمة: وتشتمل على الاعتبارات والغايات التي دفعتني لكتابة هذا البحث، مع بيان إشكاليَّتِه، وخُطته.

- المبحث الأول وعنوانه: **ماهيَّة الحروب الصَّليبيَّة**، ويتناول الحديثَ عن تحرير مُصطلح الحروب الصَّليبيَّة، وزمان ومكان الحروب الصَّليبيَّة، ودوافع وأسباب الحروب الصَّليبيَّة.

- المبحث الثاني وعنوانه: **عقيدة الألفيَّة السَّعيدة، وتأثيرُها في الحروب الصَّليبيَّة**، والمُحرِّضون على عقيدة الألفيَّة السَّعيدة، وما انتهتْ إليه هذه العقيدة.

ثم ختمتُ البحثَ بذكر أهمِّ النتائج التي توصَّلَتْ إليها هذه الدِّراسة، وذِكر أهمِّ المصادر والمراجع التي اعتمدَ عليها البحث.

المبحث الأول: ماهيَّة الحروب الصَّليبيَّة:

لم يَعْرف المؤرِّخون المسلمون مُصطلحَ الحروب الصَّليبيَّة خلال فترة قيام الحملات الصَّليبيَّة على العالم الإسلاميِّ، ولم يكنْ هذا المُصطلَحُ مُتداولًا كما هو اليوم، وكان أوَّل إطلاقٍ لهذا المُصطلح منذ ما يقربُ من قرنٍ ونصفٍ من الزمان بعد بداية هذه الحروب، وكانت تُعرَف هذه الحروبُ باسم حركة الفرنج(١)، وأمَّا لدى الغرب فكان يُطلق عليها حملاتٌ، أو رحلاتٌ إلى الأرض المقدَّسة، أو حروب مقدَّسة، وفي بعض الأحيان كان يُطلَق عليها رحلة الحج(٢).

ومع أنَّ هذه الحروب عَلِقت في أذهان المسلمين بحملاتٍ حربيَّةٍ عنيفةٍ قُصد بها التَّخريب والإفساد والقضاء على الإسلام، إلا أنه في نظر الغربيِّين كانت تحملُ نقيضَ ذلك من حيث إنها حملاتُ الخير، أهدافُها نبيلةٌ من حيث جمع التبرُّعات؛ لمُساعدة المنكوبين والمرضى؛ ولذلك حمَلَ التراثُ الشعبيُّ لدى الغرب هذا الموروثَ بهذه الصورة النزيهة والبعيدة عن الخراب والتدمير الذي كانت تُحْدثه هذه الحروب؛ وبالتالي لا بُدَّ من أخذ الحيطة والحذر عند استعمال مثل هذه المُصطلحات الغربيَّة التي يُراد بها غيرُ منطوقها الحقيقيِّ(٣).

---

(١) ابن القلانسي (حمزة بن أسد أبو يعلى التميمي، ت: ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م): تاريخ دمشق لابن القلانسي، تحقيق: د. سهيل زكار، دار حسان، الطبعة الأولى، دمشق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٥٣٧؛ أسامة بن منقذ (مؤيِّد الدولة مجد الدين أسامة ت: ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م): الاعتبار، تحقيق: فيليب حتي، د. ف، مكتبة الثقافة الدينيَّة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص١٠.

(٢) فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسلي، دار الشروق، عمان، الأردن، (د.ط)، ١٩٩٠م، ص٤٠.

(٣) قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصَّليبيَّة، عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٤٩، مايو ١٩٩٠م، ص١٣.

زمانُ ومكانُ الحروب الصَّليبيَّة :

يذكرُ كثيرٌ من المؤرِّخين أنَّ الحروب الصَّليبيَّة هي تلك الحملاتُ التي قادتها أوروبَّا على العالم الإسلاميِّ واستمرَّت مدَّةَ قرنين من الزمان بدايةً من نهايات القرن الخامس الهجريِّ وامتدَّت لنهاية القرن السابع الهجريِّ، ولكنَّ هذا التَّحديد قد جانَبَهُ الصَّواب لسببٍ، وهو أنَّ هذا التَّحديد إنما يُمثِّلُ فترةً واحدةً من فترات الحروب الصَّليبيَّة فقط، وإنما الحروب الصَّليبيَّة كان لها امتدادٌ أكثرُ من ذلك في صورة أشكالٍ عديدةٍ ومُسمَّيات شتّى، وأنها كانت سابقةً على هذا التاريخ، وهذا الأمرُ ينطبق كذلك على التَّحديد المكانيِّ لنطاق هذه الحروب، فمَن يقولُ بأنها كانت حملاتٍ صليبيَّةً على المشرق الإسلاميِّ يكون قد جانبَهُ الصَّوابُ أيضًا؛ لأنَّ هذه الحملاتِ امتدَّت لتصل لبلاد الأندلس كذلك؛ وبالتالي يمكنُ القولُ: إننا عندما نُطلق لفظ الحملات الصَّليبيَّة على المشرق الإسلاميِّ فإنَّ المقصود يكون مرحلةً واحدةً من المراحل المُتعدِّدة للحملات الصَّليبيَّة، وإذا كان اهتمامُ المسلمين والمؤرِّخين بهذه الفترة فقط فلأنَّ هذه الحروبَ ارتبطت بأنها قامت على أرضٍ مُباركةٍ يحبُّها ويقدِّسُها المسلمون واليهود والنصارى، ونطاق مُشاركة هؤلاء الصَّليبيِّين تخطَّت بلدًا بعينه أو جنسًا بعينه أو لغةً بعينها(١).

دوافعُ وأسبابُ الحروب الصَّليبيَّة :

تعدَّدت اتِّجاهاتُ المؤرِّخين حول تفسير أسباب ودوافع الحروب الصَّليبيَّة، ولا بُدَّ من مُناقشة هذه الأسباب والدوافع لمعرفة السبب الحقيقيِّ الذي أقنع كلَّ هذه الجموع الأوروبيَّة للخروج بهذه الطريقة والاتِّجاه ناحية المشرق الإسلاميِّ

(١) سعيد عاشور: الحركة الصَّليبيَّة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧١م، ج١، ص٢٧، ٢٨.

لغزوه بطريقةٍ همجيَّة، فهناك فريقٌ من الباحثين يُفرِّغ الحروب الصَّليبيَّة من دافعها الدينيِّ، ويربطُها بدافعٍ ماديٍّ بحتٍ؛ لإيمانهم بمذهبٍ مُعيَّن لتفسير التاريخ، في حين أننا نرى كثيرًا من المؤرِّخين الأوروبيِّين يربطون الحركة الصَّليبيَّة بالدوافع الدِّينيَّة والطبيعة الدِّينيَّة والأهداف الدِّينيَّة، فالمؤرِّخ جيلبرتو نوجنت (Gilberto Nugent) يذكر أنَّ الحروب الصَّليبيَّة ما هي إلا وسيلةٌ من الوسائل التي شرعها الله للإنسان للتكفير عن الذنوب والمعاصي والعودة لله[١]، وهناك شاهدٌ حيٌّ على الفترة الأولى للحروب الصَّليبيَّة، وهو المؤرِّخ وليم الصوري الذي يذكر أنَّ هذه الحروبَ ما كانت إلا نتيجةً طبيعيَّةً لعودة العرب والمسلمين للاستيلاء على القدس[٢]، ويؤكِّد تلك الحقيقةَ المؤرِّخ فالزيف، فيذكر أنَّ الحروب الصَّليبيَّة تعدُّ مرحلةً مهمَّةً من مراحل الصِّراع ما بين المسيحيَّة والإسلام منذ مطلع القرن السابع، وهذا الصِّراعُ اختلطت فيه الأهدافُ الدِّينيَّة مع هدف القضاء على الإسلام وتخليص القدس من يد المسلمين[٣].

وهناك البعض الآخر من المؤرِّخين ذكر صراحةً أنَّ الأسباب الدِّينيَّة تعدُّ هي الأسبابَ الرئيسة في الحروب الصَّليبيَّة، من ذلك المؤرِّخ ريانت (Riant) في كتابه "الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة"، الذي أكَّد أنَّ هذه الحروب الصَّليبيَّة ما هي إلا

---

(١) Quoted In: R. pernoud, The Crusades ,trans by Mcleod (London, ١٩٦٢) p. ١٣.

(٢) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصَّليبيَّة: الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، ١٩٩٠م، ج١، ص١٤١.

(٣) AA Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p: ٣٨٩ Vol: ١١..

حروبٌ دينيَّةٌ خالصةٌ هدفُها الأولُ والأخيرُ هو استرجاع القدس وتأسيس دولةٍ صليبيَّةٍ لهم فيها(١).

ولعلَّ الحالة التي كانت تمرُّ بها أوروبا في ذلك الوقت كانت تؤيِّد هذا الاتِّجاه من حيثُ سيطرة الفكر الدينيِّ على الحياة العامَّة لدى الجماهير العريضة من الأمة الأوروبيَّة، حيث شاع قربُ نهاية العالم والربط ما بين هذا الاعتقاد والظواهر الاجتماعيَّة والطبيعيَّة التي تحدث، فمثلًا: كَثُرَ حديثُ الأوروبيِّين عن السماء التي تتساقطُ منها النجوم، والشُّهب الملتهبة، وتفسير الراهب الفرنسيِّ جلابير لبركان فيزوق الذي حدث في إيطاليا بأنه يعدُّ إنذارًا شديد اللهجة لقرب حدوثِ يوم القيامة، وكَثُر الحديث عن أطفال منذ ولادتهم يتكلَّمون، وأنَّ مدينة القدس تعلو في السماء وتظهر، والمعركة التي تحدثُ بين فارسَيْن في السماء، ونتيجة هذه المعركة تكون بانتصار أحد الفارسَيْن عن طريق سيفه الكبير الذي يضربُ به عدوَّه(٢).

ومثلُ هذه القصص والأساطير انتشرت، وكان لها أكبرُ الأثر في توجيه الجو النفسيِّ؛ بل الفكري لدى الغرب الأوربيِّ؛ فاستغلَّ ذلك الرُّهبان والقُسس لتوجيه هذه الجماهير العريضة ناحية الشرق، وبالأخصِّ ناحية القدس، وتحوَّلت رحلة الحج بالنِّسبة لهم لرحلة حجٍّ مُسلَّح، ويعتقدُ بعضُ الباحثين أنَّ الحملة الصَّليبيَّة الأولى كانت جلُّ جماهيرها من الحجَّاج المُسلَّحين، وبدأت الكنيسةُ تُضفي طابع العسكرة على عمليَّة الحجِّ المسيحيِّ، وكان الحُجَّاج المُسلَّحون يتمتَّعون بامتيازاتِ

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ العَلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربيَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٧.

(٢) قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصَّليبيَّة، ص١٦، ١٧.

حمل السلاح، إضافةً للسيف المبارك من الكنيسة، وحتى في الحملات المُتعاقبة للحملة الأولى مثل الثانية والثالثة لم يتغيَّرْ الأمر بالنِّسبة لهم، فقادةُ الحملة الثالثة – وهم فردريك ملك ألمانيا، وفيليب ملك فرنسا، وريتشارد ملك إنجلترا – لَمَّا خرجوا لقيادة هذه الحملة توجَّهوا للكنيسة وتسلَّموا منها لوازمَ الحجَّاج من العصا والتصريح، وهم في الأصل ذاهبون لقتال صلاح الدين الأيوبيِّ والمسلمين(١)، والكنيسة في هذه الحملات الصَّليبيَّة لم تفرِّقْ بين الحملات المُتَّجهة ناحية الشرق الإسلاميِّ أو ناحية الجنوب حيث المغرب والأندلس؛ لأنها تعني بالنِّسبة لهم حربًا ضدَّ الكفار المسلمين، وجهادًا مشروعًا لهم(٢).

وعليه فيمكنُ القولُ: إنَّ هذا العداءَ الدينيَّ المتأصِّل الجذور لدى هؤلاء النصارى هو العاملُ الأهمُّ لتحريك هذه الحملات الصَّليبيَّة، وقد أكَّد على تلك الحقيقة القرآنُ الكريمُ في قوله تعالى: "وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ"(٣)، فعدمُ الرِّضا والعداءُ من أهل الكتاب، في حين أنَّ المسلمين يلتزمون بمُعاملتهم بما أمرهم اللهُ به من حيث حمايتُهم وعدمُ إكراههم على الدخول في الإسلام، وهذه الصورةُ تظهر واضحةً خلال صفحات الحروب

(١) فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ص٤٠، ٤١؛ عزيز سوريال عطية: الحروب الصَّليبيَّة وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فيليب صابر سيف، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية، (د.ت)، ص٢٨، ٢٩.

(٢) كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصَّليبيَّة، ترجمة: أحمد الشيخ، سيناء للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص٧٨.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ١٢٠.

الصَّليبيَّة؛ حيث أَعْملوا القتل والتدمير والفساد فيما كان يُقابلهم من المسلمين ومُمتلكاتهم(١).

وإن كان هناك مجموعةٌ من الدوافع والأسباب المُتعدِّدة، فكلُّها مُتعلِّقةٌ بهذا الدافع الدينيِّ، والتي منها:

- منعُ المسلمين من الاستيلاء على بيزنطة.
- المحافظةُ على سلامة الحجَّاج في طريقهم للأراضي المقدَّسة.
- الانتقامُ من المسلمين نتيجةَ استيلائهم على مجموعةٍ من بلاد الشام والهزيمة الكبيرة للروم في معركة ملاذ كرد(٢).
- محاولةُ القضاء على الوجود الإسلاميِّ في القدس.

(١) يذكر وليم الصوري أنَّ الصَّليبيِّين لما دخلوا مدينة القدس أعملوا القتلَ في جميع أهالي المدينة، وامتلأت الشوارعُ بالجثث، ثم مثَّلوا بهذه الجثث؛ حيث تمَّ فصلُ الرؤوس عن الأجساد، ثم بحثوا عن الأحياء وتمَّ ذبحهم أمام أعين الجميع، أو قذفهم من مُرتفعاتٍ عالية، وحينما نقارن بينهم وبين ما فعله صلاحُ الدين الأيوبيُّ حين عاد إلى القدس نجده عَفَا عن جميع الصَّليبيِّين وأطلق سراحهم. ابن شداد (يوسف بن رافع أبو المحاسن بهاء الدين ٦٣٢هـ/١٢٣٥م): النوادر السُّلطانيَّة والمحاسن اليوسفيَّة (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص١٣٦؛ وليم الصوري: تاريخ الحروب الصَّليبيَّة: الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج١، ص٤٣٧.

(٢) معركةٌ دارت بين الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة من جهة بقيادة الإمبراطور رومانوس، والسلاجقة المسلمين من جهةٍ أخرى بقيادة ألب أرسلان في ٢٣ ذي القعدة ٤٦٣هـ/ ٢٦ أغسطس ١٠٧١م بالقرب من ملاذكرد في تركيا، وانهزمت فيها الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة وأَسْر الإمبراطور رومانوس، وتمكَّن السلاجقة من مدِّ نفوذهم تجاه الأناضول. فايز نجيب إسكندر: البيزنطيُّون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذ كرد (١٠٧١م/٤٦٣هـ) في مصنف نقفور بريينيوس دراسة مُقارنة للمصادر، دار الثقافة، الإسكندريَّة، (د.ط)، ١٩٨٤م، ص١٢.

- العملُ على توحيد صفِّ الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة؛ لتكونَ قوَّةً أمام المسلمين.

- محاولةُ فَرْض الرئاسة والزَّعامة من قِبَل كنيسة روما على العالم النصرانيِّ كله.

- إعادة هيبة الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة مرَّةً أخرى أمام الوجود الإسلاميِّ في منطقة الشرق.

المبحث الثاني: الألفيَّة السَّعيدة وتأثيرها في الحروب الصَّليبيَّة:

هي عبارةٌ عن اعتقادٍ لدى النصارى الكاثوليك في الغرب، مضمونُه أنَّ المسيح عيسى عليه السلام سيعود مرَّةً ثانيةً لِيُقيم مملكةً مسيحيَّةً في الأرض، وتكون عاصمتُها فلسطينَ، وسيظلُّ يحكم هذه المملكة مدَّة ألف سنةٍ قبل حساب الناس(١)، وهذا الاعتقادُ من ضمن عقائد المسيحيَّة المهمَّة، فهو من الأركان الثابتة لديهم، ويعدُّ العصرُ الذهبيُّ لهذا الاعتقاد بعد القرن الرابع الميلاديِّ، ولعلَّ الخطورة التي تتمثَّل في هذا الاعتقاد ليس في عمليَّة العودة الثانية للمسيح عليه السلام، بل في أنَّ هذا الاعتقاد مُرتبِطٌ لديهم بالقضاء على الإسلام وأَتْباعه، ونهاية هذا الدين، ولعلَّ الدليل على ذلك ما ذُكر في الحملة الصَّليبيَّة الأولى عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م من حديث الصَّليبيِّين مع بعضهم بضرورة القضاء على الإسلام وانتزاعه من جميع المناطق التي هو فيها في الأرض، وذلك قبل بداية الألفيَّة؛ ليأتيَ المسيحُ ولا وجود لهذا الإسلام(٢).

ومع أنه ليس هناك نصٌّ صحيحٌ من الإنجيل يُؤيِّد مثل هذه الفكرة؛ بل هي نصوصٌ مُحرَّفةٌ بعيدة عن الحقيقة، لكنَّ الصَّليبيِّين آمَنوا بهذه الفكرة وظلُّوا مُقتنعين بها، وأصبحت عقيدةً راسخةً في نفوسهم، بل تحوَّلت إلى قاسمٍ مُشتركٍ بينهم وبين الصهيونيَّة.

---

(١) سهيل زكار: الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصَّليبيَّة، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٤، ص١٠.

(٢) المرجع السَّابق، ج٤، ص٣٩.

وقد دلَّل على ذلك القسُّ المسيحيُّ إكرام لمعي حين قال: "إنَّ قضيَّة عودة المسيح لحكم العالم من القدس لما يُقدَّر بألف عام، تُعَدُّ قضيَّةً ليس لها أيُّ سند تاريخيٍّ يؤيِّدها من الكتاب المقدَّس، وكلُّ أدلتهم في ذلك بعضُ النصوص التي يتمُّ تفسيرُها بطريقةٍ خاطئةٍ وغير صحيحة، وهي قضيَّةٌ غيرُ حضاريَّة؛ لأنها تستندُ على داعمها الأول وهو العنصريَّة"(١)، ولقد وضعَ هذا الكاتبُ المسيحيُّ تساؤلًا منطقيًّا، فقال: "إذا كان المسيحيُّون يعتقدون بمجيء المسيح المجيءَ الثاني؛ ليحكمَ، فما معنى مجيئه الأول؟ وإذا كان الهدفُ من المجيء الأول هو إعادة الأمم إلى الله، وقد انتهى هذا الأمرُ الآن، فيجبُ على الكنيسة أنْ تُغْلِقَ أبوابها، وتُلْغِيَ أيَّ برنامجٍ لها مُتعلِّق بعقيدة الخلاص بالمسيح"(٢).

وفيما يخصُّ الحروبَ الصَّليبيَّةَ فقد بات واضحًا أنَّ لها موقفًا آخَرَ مُتعلِّقًا بعودة المسيح ليحكم العالم كما ذكرتْ ذلك كارين أرمسترونج وهي تقول: "ويبدو أنه كانت هناك روحٌ رؤيويَّة في الخارج ترى في فتح القدس توطئةً لحلول آخرِ الزمان وعودة المسيح ليحكمَ العالم"(٣)؛ ولذلك زعمَ بعض الرهبان والقساوسة في أوروبا بأنَّ سِفْر يوحنَّا قد جزم بأنَّ من سيكون مع المسيح في مملكته في الألفيَّة السَّعيدة إنما هم شُهداء المسيحيَّة، والذين سيُبعثون لهذه المهمَّة قبل ألف سنةٍ من

(١) إكرام لمعي: الاختراق الصهيونيُّ للمسيحيَّة، دار الشرق، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١٣٧.

(٢) المرجع السَّابق، ص١٤١.

(٣) الحرب المقدَّسة الحملات الصَّليبيَّة وأثرها على العالم اليوم، ترجمة: سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، ٢٠٠٥م، ص٢٣٤، ٢٣٥.

البعث العام للموتى، ولم يتوقَّفْ هذا الأمرُ على هؤلاء القساوسة والرهبان؛ بل شاركهم في هذا الاعتقاد كذلك علماءُ اللاهوت والذين آمنوا بهذا البعث الثاني للمسيح(١)، وقد صوَّر بعضُ رجال الإكليروس(٢)، أنَّ البابا أوربان الثاني(٣)، كان يعتقدُ بحزن أنَّ المسلمين وأتباعَهم سيكونون كهنةَ المسيح الدجَّال في معركة النهاية(٤)، لكن تجدرُ الإشارة هنا إلى أنَّ البابا أوربان الثاني لم تكنْ نظرتُه هذه من منظورٍ مسيحيٍّ، وإنما نظر إليها من منظورٍ يهوديٍّ؛ بحكم أصوله اليهوديَّة المتجذِّرة(٥).

وقد رأى الدكتور قاسم عبده قاسم: "أنَّ الأفكار التي تتحدَّثُ عن نهاية العالم بعد الألف الأولى من ميلاد المسيح هي بذور الحركة الصَّليبيَّة، فلقد شاع في أوروبا الغربيَّة قربَ نهاية القرن العاشر الميلاديِّ أفكارٌ وحكاياتٌ وقصصٌ وأساطيرُ تتحدَّث عن قرب نهاية العالم مع اكتمال الألف الأولى بعد المسيح حوالي

(١) سهيل زكار: الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصَّليبيَّة، ج٤، ص١٠.

(٢) إكليروس: لقبٌ لهيئةٍ دينيَّةٍ تُؤلَّف من عدد من رجال الدين المسيحيّين، تكون مهمتُهم تفويضَ رئيس الكنيسة بالسُّلطات التي تمنح له، وهذه الهيئةُ كان لها مكانةٌ كبيرةٌ في العصور الوسطى؛ بسبب اتِّساع نفوذ الكنيسة واختصاصاتها. مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة، مُؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٣٩.

(٣) أوربان الثاني: أو أوربانوس الثاني، بابا روما من ١٠٨٨- ١٠٩٩م، دعا إلى عقد مجمع كليرمون لإصلاح الكنيسة، وكانت له خطبةٌ شهيرةٌ في هذا المجمع حرَّض فيه المسيحيّين على حمل السِّلاح ضد المسلمين، وكانت تلك بداية الحروب الصَّليبيَّة. عزيزة فوال بابتي: موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ج١، ص٢٠٧.

(٤) المرجع السَّابق، ج٤، ص٩٤.

(٥) رياض حمود السعدون: اليهود والاضطراب السِّياسي في روما ١١٣٠-١١٣٨م، مجلة كليَّة التربية، واسط، العراق، العدد ١٥، ٢٠١٤م، ص٢٢١، ٢٢٢.

سنة ٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م، إذ كانت العقيدة الكاثوليكيَّة عشيَّة الحروب الصَّليبيَّة لا تزال بعيدةً عن تحديد إطارِها بشكلٍ واضح"[١]؛ ولذلك فإنَّ الصَّليبيِّين منذ الحملة الأولى قد سيطرتْ عليهم حالةٌ طاغيةٌ جعلتهم يتوهَّمون أنهم يُتابعون الأدلة التي تُنبئ بالأيام الأخيرة، مُؤمنين بنبوءة الإمبراطور الكبير الذي سيتَّجِهُ للقدس في أيامه الأخيرة؛ ولذلك حاولَ كلُّ واحدٍ من قادة هذه الحملة الصَّليبيَّة الظهورَ بمظهرِ إمبراطور اللحظات الأخيرة[٢].

فالكتبُ التي تحدَّثت عن تاريخ أوروبا في فترة العصور الوسطى تذكرُ أنَّ الأوروبيِّين مقتنعون بقرب نهاية العالم، وأنَّ المسيح أوشك على المجيء بسبب التَّرويج الكاذب لهذه النبوءة من قِبَل رجال الدين، وخاصَّةً بسبب الفقرة المعروفة من سِفر الرؤيا المحرَّف والتي تذكرُ بأنَّ العالم أوشك على نهايته والتي ستكونُ بعد ألف سنةٍ من موت المسيح[٣].

ولِفَهْم حقيقة هذه الفكرة (فكرة نبوءة الألفيَّة السَّعيدة) لا بُدَّ من العودة للمستشرق برناردشو وهو يتحدَّث عن ذلك في كتابه "المسيح ليس مسيحيًّا"؛ لسببين، أولهما: تفسيرُه حقيقة هذا التخبُّط المسيحيِّ، وثانيهما: تشكيكُه في صدق وصحَّة هذه العقيدة، فقد قال: "إننا نرى أنَّ علماء الأناجيل ينتهون جميعًا إلى موقفٍ مُشتركٍ؛ وهو الإيمانُ بالمجيء الثاني للمسيح والذي يتفقون حوله قوليًّا بأنَّ

(١) قاسم عبده قاسم: ماهيَّة الحروب الصَّليبيَّة، ص١٣، ١٤.

(٢) سهيل زكار: الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصَّليبيَّة، ج٤، ص٨٨.

(٣) قاسم عبده قاسم: الحملة الصَّليبيَّة الأولى نصوص ووثائق، عين للدِّراسات والبحوث، القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠١م، ص٤٣.

يسوع قد وعد وعدًا أكيدًا لا شكَّ فيه بأنَّ هذا المجيء سيكون في حياة المعاصرين له، وكلُّ واحد من هؤلاء العلماء الذين يصنِّفون إنجيلًا بعد موتِ آخر واحد من المعاصرين عليه أحد أمرين؛ إمَّا أنْ يرفضَ هذا الوعد بالمجيء؛ وبالتالي لا يؤمن بكلِّ الروايات التي تحدَّثت عنه، وإمَّا أنْ يحذِفَهُ حذفًا على أساس أنه ما دام الوعدُ لم ينجز فليس بالإمكان أنْ يتحقَّق بعد"[١]، ثم يذكر برناردشو: "أنَّ عقيدة الألفيَّة السَّعيدة هي قصَّةٌ من القصص التي دُوِّنت خلال القرن الأول الميلاديِّ، ولا يُستثنى من ذلك سِفر يوحنا، فالعجيبُ أنَّ يوحنا نفسه صاحب فكرة المجيء الثاني قد ادَّعى كذبًا أنَّ المسيح قد وعده بأنه سيكونُ من ضمن الأحياء الذين سيشهدون المجيءَ الثاني، وهذا الأمرُ لم يحدُثْ، وشكَّك برناردشو في أنْ يكون يوحنا صاحب فكرة الألفيَّة السَّعيدة من ضمن تلاميذ المسيح أصلًا، فهو لم يُعَاصِرْهُ ولم يُعاصر الجيل الثاني بعد المسيح"[٢].

وبهذا يتضحُ أنَّ فكرة الألفيَّة السَّعيدة هي فكرةٌ حُكِمَ عليها بالفشل والفناء منذ بدايتها الأولى، ودليلُ ذلك أولًا: حالة التخبُّط لدى الكنيسة والتي اتَّضحت معالِمُها كلما أحرز الإسلامُ نصرًا وتقدُّمًا، ثانيًا: ظاهرةُ ابتلاء أوروبا خلال هذه الفترة بمجموعةٍ كبيرةٍ من المشعوذين والمتنبِّئين بشكلٍ لا يُصدَّق، وقد وصل الأمرُ إلى سقوط رجال الكنيسة من البابا وكبار رجال الدين، ومجموعة ضخمة من

(١) جورج برناردشو: المسيح ليس مسيحيًّا، ترجمة: جورج فتاح، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، ص٧٣.

(٢) المرجع السَّابق، ص٧٢، ٧٣.

الفلاسفة، والعلماء، والمفكِّرين، والرهبان، والقساوسة إلى حد القول بأنَّ هذه كانت حالةً مَرَضِيَّةً سقطتْ فيها الأمَّة الأوروبيَّة.

تأثيرُ عقيدة الألفيَّة السَّعيدة في الحروب الصَّليبيَّة:

والخطير في عقيدة الألفيَّة السَّعيدة أو ما يُطلق عليها المبعثُ الثاني للمسيح، أنها تعتمدُ على الأساطير المكذوبة، لكنها كانت أحدَ أسباب إشعال الحروب الصَّليبيَّة، وتأثيرها على الإسلام خلال عصر الحروب الصَّليبيَّة كان شديدًا، حيث رُفع شعارٌ مفاده: "أنه لا دخولَ في سلامٍ مع الإسلام حتى يعود المسيح، ويتولَّى عرش ملكه في القدس"(١)، ولعلَّ الملهم لأصحاب هذه العقيدة هو سِفْرُ الرؤيا المحرَّف، والذي يُعَدُّ المحركَ الأساسَ لدعاة الحملة الصَّليبيَّة الأولى، فهو أحدُ أهمِّ الداعمين لعمليَّة الحرب ضد الإسلام، حتى إنه قد بلغ من تعلُّق الصَّليبيِّين به أن اعتقدوا أنَّ المسيح هو مَن كَتبه بيده، وحتى هذه اللحظة ما زال هذا السِّفر يُمثِّل العقيدةَ لكثيرٍ من الدول الكبرى في العصر الحديث، وقد أيَّد ذلك المؤرِّخُ الأمريكيُّ والتر ماكدوجال(٢)، من خلال كتابه المعروف بـ "أرض الميعاد والدولة الصَّليبيَّة"(٣)، حيث عدَّ والتر ماكدوجال أنَّ سِفْر يوحنا لازمَ عمليَّة قيام الولايات المتحدة الأمريكيَّة، وما زال حتى الآن يُؤثِّر في سياساتها، ففي أثناء الاحتفال بالذكرى الثلاثمائة لاكتشاف كولمبس(٤) لأمريكا، ردَّد ألهنان ونشستر القول من

(١) إكرام لمعي: الاختراق الصهيوني للمسيحيَّة، ص٦٥ .

(٢) والتر ماكدوجال: أحد مساعدي الرئيس الأمريكيّ الأسبق نيكسون، وهو صاحب الدَّعوة للتحالُف مع روسيا لحماية العالم المسيحيّ من عدوِّهم المشترك، وهو الإسلام. رجب البنا: صناعة العداء للإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص٧٠.

(٣) أرض الميعاد والدولة الصَّليبيَّة (أمريكا في مُواجهة العالم منذ ١٧٧٦م)، ترجمة: رضا هلال، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٦، ٤١.

(٤) كريستوفر كولمبس: وُلد عام ٨٥٥هـ/١٤٥١م في مدينة جنوا الإيطاليَّة، عمل ملاحًا، ويقال: إنه أكتشف أمريكا عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م مع أنه قال في مذكراته: إنه عندما وصل للعالم الجديد وجد ==

نبوءة القدِّيس يوحنا والتي يقول فيها: أمامك بابٌ مفتوحٌ ولن يُغلقه أيُّ رجل، وذكر بأن هذا النصَّ يخصُّ ولاية فيلادلفيا، وفسَّره على أنه يعدُّ بابَ الحريَّة المدنيَّة والدِّينيَّة، وسوف تنتشر في العالم كلِّه.

وما يهمُّنا من هذا الأمر، وأثبته كثيرٌ من المؤرِّخين؛ هو أنَّ هذه الأفكار ظلَّت تتوغَّل في ضمير كثيرٍ من الأوروبيِّين خاصَّةً في القرون المسيحيَّة الأولى، وظهر صداها بوضوحٍ في الحروب الصَّليبيَّة، فاستيلاءُ الصَّليبيِّين على بيت المقدس عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م يعدُّ أكبرَ دليلٍ على عقيدة الألفيَّة السَّعيدة وأصدائها المكذوبة عبر التاريخ، إلى حدِّ القول بأنَّ فرسان الصليب كانوا يظنون أنَّ الليلة التالية لسقوط القدس في أيديهم هي الليلةُ الموعودةُ بعودة المسيح مرَّةً ثانية، فقادةُ الحملة الصَّليبيَّة الأولى كانوا من الحكَّام الأوربيِّين المسيحيِّين الأصوليِّين، والذين كانوا يُؤمنون بقرب المجيء الثاني للمسيح، وقرب نهاية العالم، فهم حينما أردوا غفرانًا لذنوبهم قبل بداية الألف سنة اتجهوا للقيام بتذبيح اليهود في كلٍّ من فرنسا وإنجلترا وألمانيا، ثم أكملوا حركتهم بالاتِّجاه لفلسطين؛ لإكمال عمليَّة غفران الذنوب بقتل المسلمين(١).

ولعلَّ هذه الفكرة (الألفيَّة السَّعيدة) قد تطوَّرت بمرور الزمن، وذلك قبل مضيِّ عدة قرون من الحروب الصَّليبيَّة، فأضحت وقد ربطها هؤلاء المسيحيون

==

مجموعاتٍ من الأفارقة قد سبقوه إليها، مات في عام ٩١٢هـ /١٥٠٦م في إسبانيا. علي بن عبد الله الدفاع: رواد علم الجغرافية في الحضارة العربيَّة والإسلاميَّة، مكتبة التوبة، السعوديَّة، (د.ط)، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص٢٠٦.

(١) القس إكرام لمعي: الاختراق الصهيوني للمسيحيَّة، ص٦٥، ٦٦.

بالإسلام وانتشاره ارتباطًا وثيقًا، فمنذ سنة ١هـ/ ٦٢٢م بدأ انتشارُ الإسلام، ثم فتحَ المسلمون القدس سنة ١٦هـ/ ٦٣٧م[١]؛ "وهذا الأمرُ أدَّى إلى وضع الإسلام وجهًا لوجهٍ في مُجابهة العالم المسيحيِّ، ومنذ ذلك التوقيت بدأ هؤلاء المسيحيون المعتقدون بالألفيَّة السَّعيدة يصوِّرون الإسلام والمسلمين على أنهم جيشُ الشر، وما زال هؤلاء يتوقَّعون المعركة الفاصلة والأخيرة بين جيش المسيح وجيش الشَّرِّ هذا"[٢].

ولقد كان الراهبُ المسيحيُّ المتعصِّب باول ألفا روس يمثِّل هذه الروح المتعصِّبة ضد الإسلام والمسلمين، ففي عام ٢٣٥هـ/ ٨٥٠م زعم هذا الراهبُ أنَّ عمليَّة التوسُّع في انتشار الإسلام بهذه الطريقة إنما تُبشِّر بقرب عودة المسيح؛ ليقضيَ على هذا الإسلام وأتباعه، وظلَّ ألفا روس يعيش طيلة حياته يبثُّ بذور الأمل في أتباعه بقرب عودة المسيح؛ لينتهيَ هذا الإسلام، لدرجة أنْ وصلَ به الأمر إلى الاعتقاد بأنَّ الربَّ سيُمهله الحياة بقدر مائة وخمسين سنة؛ ليدركَ هذه الحقيقة بالنِّسبة له، وحتى بعد موته بقي أتباعُه يعيشون على نفس الأمل الذي كان يعيش عليه ألفا روس، وظلُّوا في هذا الاعتقاد المرتبط بشرٍّ كبير يأتي من ناحية الإسلام والمسلمين[٣].

(١) فؤاد شعبان: من أجل صهيون (التراث اليهودي- المسيحي في الثقافة الأمريكيَّة)، دار الفكر، الأردن، (د.ط)، (د.ت)، ص٤١٩.

(٢) المرجع السَّابق، ص٤١٩.

(٣) طارق منصور: المسلمون في الفكر المسيحيِّ (العصر الوسيط)، مصر العربيَّة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، ص٤٨، ٤٩.

وأكَّد المؤرِّخ أندور ملر أنه قد بدأ رجال الكنيسة من الرهبان والقساوسة منذ عام ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م "يروِّجون لنبوءة انتهاء العالم وقرب عودة المسيح العودة الثانية، والتي ستكونُ بنهاية الألف سنة، وبالفعل صدَّقت الشعوب الأوروبيَّة هذه النبوءة، وبَدَؤُوا في ترويجها على أنها حقيقة، ورأى بعض رجال اللاهوت أنَّ هذه النبوءة بعيدةٌ عن التحقيق في ذلك التوقيت؛ لأنَّ تحقيق هذه النبوءة مُقترن اقترانًا وثيقًا بالقضاء على المسلمين والسَّيطرة على فلسطين وإنهاء حكمهم فيها، ورغم هذا الأمر فإنه بقرب حلول نهاية الألف سنة شُوهدت الهجرات الأوروبيَّة المسيحيَّة إلى فلسطين بشكلٍ ملحوظٍ ولم يسبقْ له مثيل، حيث اتَّجهت مجموعةٌ من الأغنياء والأشراف والأمراء والأساقفة وعائلاتهم إلى شواطئ فلسطين مُعتقدين أنَّ جبل صهيون سيشهد عودة المسيح من هناك"[١].

وكانت إشارة ملر إلى الحالة العامَّة لدى مسيحيِّي أوروبا في ذلك التوقيت؛ حيث حالة الفزع والقلق التي سيطرتْ عليهم انتظارًا لتلك الليلة الأخيرة في الألف الأولى من الميلاد، حتى صوَّرهم ملر على أنهم قد تَركوا هموم الحياة، لدرجة أنهم تركوا الأرض دون حرث، وأهملوا بيوتهم، وتركوا متاع الدنيا، وقد انتهت تلك الحالةُ بسطوع شمس اليوم الأول من عام ١٠٠١م دون أنْ يحدثَ أيُّ شيء من هذا المعتقد، وظهر للجماهير العريضة كذبُ رجال الكنيسة واللاهوت[٢].

ولعلَّ هذا الوهم الذي كان يعيشُ فيه رجال أوروبَّا؛ مرجعُه لتفسير نبوءة الألف سنة التي يملك فيها المسيحُ، ومعه كذلك القدِّيسون.

(١) أندرو ملر: مختصر تاريخ الكنيسة، مكتبة الإخوة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٣م، ص٢٣٤.
(٢) المرجع السَّابق، ص٢٣٤.

ويُعد رالف جلابير المصدرَ الذي كان يستمدُّ منه الأوروبيُّون معلوماتِهم عن نهاية العالم، وقد اعتمد رجالُ الدين في أوروبا على كتابات هذا الرجل في خداع الناس بقرب نهاية العالم خلال عام ١٠٠٠م، وكتاباتُ هذا الرجل تتصفُ بعدم الدِّقة، وذكره لكثير من الأساطير والخرافات، وخاصَّة تلك الخرافات التي تُنذر بقرب نهاية العالم، ومنه تردَّد ذكر هذه الخرافة في كتب التاريخ الأخرى(١).

وقبل بداية الحملة الصَّليبيَّة الأولى خطب البابا أوربان الثاني خطابًا في كلير مونت سنة ١٠٩٥م لبثِّ الحماس في قلوب أتباعه الصَّليبيِّين، وانتظر الصليبيون مجيء المسيح المجيءَ الثاني، وتأسيس مدينة أور سليم السماويَّة، وبدأت النبوءاتُ تعلن ضرورةَ السيطرة على القدس قبل مجيء المسيح المجيءَ الثاني، وهذه الحملةُ الصَّليبيَّة الأولى أدَّت إلى زيادة الاعتقاد بأنَّ دماء المسلمين التي تمَّت إراقتها في القدس عام ١٠٩٩م، إنما هي دماءٌ رؤيويَّة تظهر حسن الطالع للألفيَّة السَّعيدة والتي سيقودها المسيح بنفسه ضدَّ هؤلاء الأشرار المسلمين في اعتقادهم، وهذا الوهمُ جعل فرسانَ الصليب يعتقدون أنهم في معركةٍ فاصلةٍ تجمعُ بين قوى الخير والبناء وهي المسيحيَّة، وبين قوى الشر والهدم وهي المتمثِّلة في الإسلام وأتباعه(٢).

ولقد حاول البابا أوربان الثاني بثَّ الحماس في جنوده الذين يحملون معهم الصليبَ في حملتهم، مُذكِّرهم بنبوءة الألفيَّة السَّعيدة وعودة المسيح، والمعركة

(١) إمام الشافعي محمد حمودي: الرؤى والأحلام المقدَّسة عصر الحروب الصَّليبيَّة، بحثٌ منشورٌ بمجلة كليَّة اللغة العربيَّة بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد ٣٠ لسنة ٢٠١١م، مج١، ص٥٧٧، ٥٧٨.

(٢) جون فيفر: الحرب الصَّليبيَّة الثانية (حرب الغرب المستعرة مجددًا ضدَّ الإسلام)، ترجمة: محمد هيثم نشواتي، منتدى العلاقات العربيَّة والدوليَّة، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، ص٣٩، ص٤٥.

الأخيرة بين الخير والشَّرِّ؛ ومُذكرًا إياهم بأنَّ إبادة المسلمين إنما هي بدايةُ عودة المسيح لأحداث النهاية، فقد قال لهم كما ذكرتْ رواية جيوبرت النوجنتي: "إنَّ نهاية العالم أصبحت وشيكةً، وقبل قدوم المسيح الدجَّال لا بُدَّ من تجديد الإمبراطوريَّة تبعًا لما تقوله النبوءات، سواءً عن طريقكم أو عن طريق أولئك الذين يختارُهم الرب؛ حتى يكتشفَ رئيسُ الأشرار الذي سيعتلي عرش المملكة في هذا المكان، فاعتبروا وتدبَّروا في أنَّ الربَّ العظيم ربما اختاركم لهذه المهمَّة حتى يمكنَ أنْ يُعيد القدس"(١)، وقد أدَّى إيمانُ الصَّليبيِّين بهذا الخطاب الذي ألقاه البابا أوربان الثاني أن اعتقدوا أنه أشبهُ بأمرٍ إلهيٍّ، وأنه أولُ المعجزات التي ستنتهي بمجيء المسيح المجيءَ الثاني(٢).

وقد اعترفَ بعضُ كتَّاب الغرب بأنَّ سِفْر دانيال الذي اعتمد عليه البابا أوربان الثاني إنما هو سِفْر مُزيَّف ومُزوَّر، وبالتالي فإنه باعتماده على هذا السِّفر المُزيَّف؛ تكون النتيجةُ الطبيعيَّةُ هي أنَّ الاعتقاد المسيحيَّ في المجيء الثاني يكون بلا جدوى؛ طالما أنه قد اعتمد على نبوءاتٍ ومُعتقداتٍ مُزيَّفةٍ ومُزوَّرةٍ كما صرَّح بذلك العالم اللاهوتيُّ أنتوني كولينز(٣).

وهذه الأفكارُ الغربيَّةُ حول نهاية العالم والمجيء الثاني للمسيح تعدُّ الجذورَ الرئيسةَ للحروب الصَّليبيَّة، وقد أشار لذلك المؤرِّخ يوشع براور فقال: "إنَّ

(١) قاسم عبده قاسم: الحملة الصَّليبيَّة الأولى نصوص ووثائق، ص٨١، ٨٣، ٨٤.

(٢) المرجع السَّابق، ص٩٧.

(٣) باربارا توخمان: الكتاب المقدَّس والسيف (إنجلترا وفلسطين من العصر البرونزيّ إلى بلفور)، ترجمة: منى عثمان، محمد طه، مكتبة الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ج٢، ص١٢.

المجيء الثاني للمسيح قد أسقطه الصليبيُّون على الحملة الصَّليبيَّة الأولى"(١)، وذكر جوناثان ريلي سميث أيضًا: "أنَّ تلك الأفكار قد تغلغلت في العقليَّة الصَّليبيَّة لدرجة أن زعموا أنَّ أحداث الحملة الصَّليبيَّة الأولى إنما هي أحداثُ نهاية العالم الذي آمنوا به خلال ذلك التوقيت، ويعقبها مجيءُ المسيح المجيءَ الثاني ليقضيَ على الإسلام قضاءً نهائيًّا، وينتهي الصراعُ بين الخير والشَّرِّ -كما زعموا في ذلك-"(٢).

وحينما يتمُّ تحليل تلك الأفكار في نطاقها الصَّحيح نتبيَّن أنَّ هذا العصر - وهو عصر الحروب الصَّليبيَّة - حُفَّ بمجموعةٍ كبيرةٍ من النبوءات والخرافات على يد مجموعةٍ كبيرةٍ من المتنبِّئين والذين آمنوا بهذه الأفكار لأمرين، أوَّلهما: الحقدُ الدفينُ على الإسلام والمسلمين، وثانيهما: عواملُ الظهور والشهرة لدى هؤلاء الصَّليبيِّين، وجميعُ هؤلاء المتنبِّئين تأثَّروا بأسطورة نهاية العالم، وإمبراطور الأيام الأخيرة، والتي آمن بها الصليبيُّون أنفسهم حيث مجيء المسيح لتوحيد الغرب والشرق معًا، ثم يعقبه القضاءُ على أعداء المسيح، والخطوة الثالثة هي الزحف على الشرق لتكون النهايةُ بالتتويج بفتح بيت المقدس واستعجال ظهور المسيح الدجال، وهذا الأمرُ يَعْقبه قربُ قيام الساعة، وأسطورة إمبراطور الأيام الأخيرة هي التي نظَّمت موقف المسيحيين من اليهود، وبالأخصِّ القدِّيس بولس الذي

(١) يوشع براور: الاستيطانُ الصليبيُّ في فلسطين (مملكة بيت المقدس اللاتينيَّة)، ترجمة: عبد الحافظ البنا، عين للدِّراسات والبحوث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٨.

(٢) جوناثان ريلي سميث: الحملة الصَّليبيَّة الأولى وفكرة الحروب الصَّليبيَّة، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م، ص٢٥٨.

ذكر: "بأنَّ اليهود جميعَهم سوف يكونون مسيحيِّين قبل مجيء المسيح المجيءَ الثاني"(١).

المُحرِّضون على عقيدة الألفيَّة السَّعيدة:

وقد ذكر نورمان كوهين أنَّ الرجل الذي أوحى بالمذبحة الكبرى لليهود على طول المدن الواقعة على طول نهر الراين[٢]، وهو إي إميكو أمريش (كونت مدينة ليتنجن)، وقد كان أحد دعاة الحملة الصَّليبيَّة الأولى، بل وضعَ نفسه كإمبراطور الأيام الأخيرة، وادَّعى أنه قد دُعِيَ لحمل الصليب عن طريق الرؤى والإلهام، وأنَّ المسيحَ بنفسه هو مَن وضعَ هذه العلامة على كتفه، وأنه مَن سيقود تلك الجيوش الصَّليبيَّة ضدَّ المسلمين في حملة النصر الذي سيكونُ حليفَ هؤلاء الصَّليبيِّين، وأنَّ المسيح سوف يتجلَّى عليهم في هذه الحملة وسيقودُها لتحقيق نصر مُؤزَّر، وأنه الإمبراطورُ المنتظر الذي سيقود حملة القدس لتخليصها من يد المسلمين، ومع سوء سُمعة إميكو التفَّ حوله كثيرٌ من الدهماء الذين كان نصيبُهم الهزيمةَ والتَّشريد حتى قبل وصولهم للقدس(٣).

وذكر مارك غراهام أنَّ هناك في ألمانيا الكونت ليننجين إيميخ لما سمع بالحرب ضد الإسلام والمسلمين بدأ على الفور يُعِدُّ حملته الصَّليبيَّة إعدادًا جيدًا، بل

---

(١) محمد مؤنس عوض: صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، عين للدِّراسات والبحوث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، ص٢٩٤.

(٢) نهر الراين: اسم نهر مشتق من كلمة تعني الجاري، ويعدُّ أهمَّ الأنهار في القارة الأوروبيَّة، ينبع من جبالٍ جليديَّة شرق سويسرا، ويتكوَّن من نهرين صغيرين: الراين الأوسط والراين الخلفي. محمد حمزة حسين، لبنى رياض عبد المجيد: تاريخ أوربَّا في العصور الوسطى، المنهل، الأردن، ط١، ٢٠١٥م، ص٤١٠.

(٣) سهيل زكار: الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصَّليبيَّة، ج٤، ص٩٠، ٩١.

كان يعتقد أنه الشخصيَّة الأسطوريَّة ذات النبوءة، وكان لديه أملٌ في هزيمة المسيح الدجَّال، وبعدها يصبح الملكَ المتوَّج للعالم بمدينة القدس، ويكون ذلك في مستهلِّ الألف عام(١).

وخلال عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م تحمَّل رئيس دير كليرفو برنارد أنْ يسعى في سبيل حشد الجماهير للقيام بالحملة الصَّليبيَّة الثانية، وكان عليه أنْ يُقدِّمَ تفسيرًا لمستجدات الأحداث؛ ليتناسبَ مع المجيء الثاني للسيد المسيح؛ وليستطيعَ تأهيلَ رجال الدين بالأخصِّ ليخوضوا غمار هذه الحرب ضدَّ الإسلام والمسلمين، وكانت رؤيته البَدْءَ أوَّلًا بتطهير رجال الكنيسة أنفسهم من الذنوب التي اقترفوها من المسيح الدجال والتي أصبحت تنتقلُ فيهم واحدًا تلو الآخر حتى صاروا كما وصفهم: "وزراء المسيح الدجال"، وأصبح هذا الداءُ عضالًا لا سبيلَ لشفائه؛ نظرًا لاستشرائه، والعصر الوحيد الذي سيتمُّ تحقيقُ سفر الرؤيا فيه هو الذي ستكون نهايةُ المسيح الدجَّال فيه على يد السيد المسيح(٢).

وفي عام ١١٥١م – أي: بعد نهاية الحملة الصَّليبيَّة الثانية – برزت الراهبة هيلديجارد كإحدى الشخصيَّات النبوئيَّة الدَّاعية لعقيدة الألفيَّة السَّعيدة، وقد تحدَّثت عن المعركة الفاصلة بين الخير والشَّرِّ في آخر الزمان، وقدَّمت لها وصفًا دقيقًا، وهذه المعركةُ كانت بين جيش الإسلام من ناحيةٍ وجيش المسيح من ناحيةٍ

(١) مارك غراهام: كيف صنع الإسلام العالم الحديث؟، ترجمة: عدنان خالد عبد الله، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص١٨٠.

(٢) نورمان ف. كانتور: التاريخ الوسيط (قصة حضارة البداية والنهاية)، ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للدِّراسات والبحوث، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٧م، ج٢، ص٤٧٢.

ثانية، وأنَّ المسيح سيعود مرَّةً أخرى، وكانت هيلديجارد مُؤثِّرة جدًّا لدرجة أنَّ كبير الأساقفة الذي كانت تعملُ معه وتحت سُلطته داخل الكنيسة كان مُقتنعًا بأنَّ هذه الرؤى من عند الربِّ، بل وصل الأمرُ لحدِّ تسليم البابا نفسه بهذا الاقتناع، وزيادةً في مكانتها وما تقوله من نبوءاتٍ تمَّ تكليف راهبٍ للعمل تحت رئاستها ككاتبٍ لها ليسجِّلَ جميع النبوءات التي تتحدَّث بها فورًا وبكلِّ دقة(١).

وخلاصةُ الأمر: يمكنُ التأكيد على أنَّ هذه الحالة الرؤيويَّة بفكرها للألفيَّة السَّعيدة كانت هي الحالةَ المُصاحبة لجميع الحملات الصَّليبيَّة على العالم الإسلاميِّ، بحيث جعلوا الإسلام دائمًا يمثِّل بالنِّسبة لهم جيشَ الشرِّ الذي لا بُدَّ من القضاء عليه، وبنجاح المسلمين في طرد الصَّليبيِّين من بلاد الشام نهائيًّا عام ١٢٩١م زادت حدَّةُ هذا الشعور لدى الغرب، فقد ظهر راهبٌ فرنسيٌّ يُسمَّى جون روبيسيسا كان يرى أنَّ المسلمين ما هم إلا جيوشٌ شيطانيَّة مُحتشدة للمعركة الفاصلة والتي يعود فيها المسيح لقتالهم والقضاء عليهم قضاءً مبرمًا(٢).

ولم يقتصِرْ الأمر على الرجال فقط؛ بل ظهرت خلال عام ١٣١٠م مجموعةٌ من النساء الراهبات، وبالتحديد في إيطاليا، أُطلق عليهن مُصطلح

(١) جوناثان كيرش: تاريخ نهاية العالم (كيف غيَّر أكثر أسفار الكتاب المقدَّس إثارةً للجدل حضارة الغرب؟)، ترجمة: عبد الوهاب علوب، مكتبة الشروق الدوليَّة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص١٧١، ١٧٢.

(٢) جوناثان كيرش: تاريخ نهاية العالم: كيف غير أكثر أسفار الكتاب المقدَّس إثارةً للجدل حضارة الغرب؟، ص١٧٣.

"البجوينيات"[١]، وكنَّ يُروِّجْنَ أنَّ عدوَّ المسيح الأكبر سوف يظهرُ للعلن؛ إمَّا في سنة ١٣٢٥م، أو في عام ١٣٣٠م، أو في عام ١٣٣٥م، وتنبَّأْنَ بأنَّ العالم كله سيتحوَّل لدين المسيح عقب وفاة عدوِّ المسيح، وأنَّ العالم كلَّه سيسودُه الخير والرحمة(٢)، ثم جاء سافونارولا خلال عام ١٤٩٨م واعتبر أنَّ رسالته إلهيَّة، وبشَّر بقرب نهاية العالم، وكان يخطبُ وسط جموعٍ حاشدةٍ عن سِفْر الرؤيا، فهو يَعُدُّ مدينةَ القدس نموذجًا للنقاء المسيحيِّ وعاصمةً للمملكة الألفيَّة، وقد أُعجب الناس بهذا الوصف، وظهر كَذِبُهُ لجميع الشعوب الأوروبيَّة عندما تمَّ إلقاء القبض عليه وتعذيبه ومُحاكمته، وتمَّت إدانته بالهرطقة والانشقاق، وحينما أُلقي جثمانه في النار، صاح أحد المُستهزئين قائلاً له: "آن الأوانُ لكي تبيِّن كراماتِك يا نبيّ"(٣).

واضحٌ أنَّ العقليَّة الصَّليبيَّة لم تتخلَّ يومًا عن فكرة الألفيَّة السَّعيدة والتي كان مفهومُها بالنِّسبة لهم هو القضاء على الإسلام والمسلمين؛ وبالتالي ينجحُ المسيح في القضاء على هذا الإسلام قضاءً مبرمًا، ولقد عاش هذا الاعتقادُ من بداية الحملة الصَّليبيَّة الأولى عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م؛ بل ظلَّ هذا الاعتقاد سائدًا حتى أتى كريستوفر كولومبس، والذي كان يؤمن بعقيدة الألفيَّة السَّعيدة إيمانًا جازمًا؛ وهذا الأمرُ أدَّى به إلى مُحاولة مُحاربة الإسلام والمسلمين، فما يُعرَف عن كريستوفر كولومبس أنه كان مستكشفًا مغامرًا، يحاول البحثَ عن السُّلطة والمنصب والثروة،

(١) البجوينيات: جماعة من النسوة شنَّ حملتهنَّ الصَّليبيَّة الخاصَّة من أجل التطهير والإصلاح توقعًا للألفيَّة السَّعيدة ونهاية العالم. جوناثان كيرش: تاريخ نهاية العالم، ص١٧٢.

(٢) المرجع السَّابق، ص١٧٥.

(٣) جوناثان كيرش: تاريخ نهاية العالم (كيف غيَّر أكثرُ أسفار الكتاب المقدَّس إثارةً للجدل حضارة الغرب؟)، ص١٩٥، ١٩٦.

لكنَّ الهدف الأقوى الذي كان يبحثُ عنه هو حرب الحياة والموت ضدَّ الإسلام والمسلمين، وقد أظهر ذلك في إحدى رسائله لملكَيْ إسبانيا فرديناند(١)، وإيزابيلا(٢)، وهذا الاعتقادُ هو ما ساعده في إقناع ملكَيْ إسبانيا بتمويل هذه الحملة الصَّليبيَّة لإضعاف الإسلام والمسلمين ومُحاولة ضَرْب المسلمين في مقتل، ليتطوَّرَ هذا الاعتقادُ لدى كولومبس بمُحاولة تجهيز حملةٍ صليبيَّةٍ للاستيلاء على فلسطين مرَّة ثانية، وقد اشتملت رسالتُه لملكَيْ إسبانيا على ذلك، داعيًا إياهما للمُوافقة على هذا التَّمويل، وهو على استعدادٍ لإيجاد الآلاف من الجنود الذين يؤمنون بهذا الاعتقاد، والمُتعارَف عليه أنَّ ملكَيْ إسبانيا قد وفَّرَا الدعم الماليَّ لحملاته من أجل النفوذ والمال، في الوقت الذي كان يتطلَّع فيه كولومبس لحلمه الرؤيويِّ؛ وقد وجد كولومبس مجموعاتٍ من يهود المارانو(٣)، الذين تبنَّوْا أفكارَه ومشروعه؛ وهذا ما أقرَّت به الباحثةُ الألمانيَّة هاينكه زودهوف حين قالت: "إنَّ

(١) فرديناند: وُلد في مدينة آراغون عام ٨٥٦هـ/١٤٥٢م، وكان أبوه خوان الأول ملك آراغون، ملك فرديناند آراغون عام ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م بعد زواجه من إيزابيلا بعشر سنوات، وصارَا ملكين لآراغون وقشتالة، وأشعلا الحربَ ضدَّ المسلمين. جمال يحياوي: سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيِّين (١٤٩٢-١٦١٠م)، دار هومة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، ص٣٣.

(٢) إيزابيلا: وُلدت عام ٨٥٥هـ/١٤٥١م، أبوها خوان الثاني أحد ملوك قشتالة، وهي حفيدة إنريكي، تزوَّجت من فرديناند ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، تسلَّمت العرش مكان أخيها بعد موته. جمال يحياوي: سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيِّين، ص٣٣.

(٣) يهود المارانو: يهود شبه جزيرة أيبريا الذين أبطنوا اليهوديَّة وأظهروا الكاثوليكيَّة، وأجبرت محاكم التفتيش أعدادًا منهم على مُغادرة الأندلس. عبد الوهاب المسيري: الجماعات الوظيفيَّة اليهوديَّة (نموذج تفسيري جديد)، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٤.

كريستوفر يهوديٌّ أخفى يهوديَّتَه؛ وحلمه من وراء اكتشافاته هو الحلم التوراتيُّ الصهيونيُّ"[١].

وكولومبس وصل به الأمرُ للاعتقاد بأنه وجنوده سيكونُ لهم شرفُ استقبال المسيح حال عودته الجديدة، وذكر في أكثرَ من مرَّةٍ بأنه رسولُ الوحي المبشِّر بقدوم وعودة المسيح العودةَ الثانية؛ وأثبت ذلك حتى في توقيعه على المنشورات والأوامر والرسائل، فكان يكتبُ كريستوفرنز أي حامل المسيح عبر العالم، ولعلَّ هذا في نظره كان يعدُّ مهمَّةً مُقدَّسة[٢].

وظلَّ كولومبس يسير بهذا المعتقد؛ بل يُفسِّر النصوص والأحداث ضمن هذا السِّياق، فكان يرى أنَّ عمليَّة طرد المسلمين من بلاد الأندلس، وتولِّي بابا للكنيسة إسبانيّ الجنسيَّة، وصعود فرديناند وإيزابيلا عرش إسبانيا، أضفْ لذلك الاكتشافات الجغرافيَّة له؛ كلُّ هذا يُعَدُّ بمثابة البشارات التي تسبقُ عودة المسيح وما يتبعُ ذلك من نهايةٍ مُؤلمةٍ للإسلام والمسلمين[٣].

وأراد كولومبس تحقيقَ حلمه التوراتيِّ؛ حين ذكر ذلك للملكة إيزابيلا وأخبرها "أنه ينوي استخدامَ الذهب الذي سيعثرُ عليه في عالمه الجديد لإعادة بناء الهيكل المزعوم في القدس؛ لتصبحَ مركز العالم وحلمة الكرة الأرضيَّة، وأنَّ العناية

(١) هاينكه زودهوف: معذرة كولومبس لستَ أولَ من اكتشف أمريكا، ترجمة: حسين عمران، العبيكان، الرياض، السعوديَّة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص٩، ١١.

(٢) نزار صميدة: النصوص الرؤيويَّة الكتابيَّة مجالاتها وتداعياتها على الفكر الدينيّ الكتابي قديمًا وحديثًا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، ص٣٨٦، ٣٨٧.

(٣) المرجع السَّابق، ص٣٨٧.

الإلهيَّة قد اختارته ليكون الممهِّد لعودة الشعب المختار إلى أورشليم، وحكم المسيح فيها"[١]، حتى جعل رحلاته وكأنها جزءٌ من عقيدة الألفيَّة السَّعيدة، وروَّج لما ادَّعاه بقرب نهاية العالم، وأنه يعدُّ الممهِّد لعودة المسيح، حيث قال: "الربُّ جعلني رسولَ السماء الجديدة والأرض الجديدة التي تحدَّث عنها في رؤيا القدِّيس يوحنا، ودلَّني على البقعة التي أجدها فيها"[٢].

ونظر كولومبس للإسلام على اعتبار أنه عدوُّه اللدود، وبدأ يُسخِّر كلَّ حياته من أجل القضاء على هذا العدوِّ، وظنَّ في نفسه أنه القدِّيسُ الأكبرُ الذي يملكُ تحويل الشعوب الإسلاميَّة لعقيدته بإشارةٍ واحدةٍ منه، فقال: "إنَّ سموَّكم كاثوليكيِّين ومسيحيِّين وأمراء أحبُّوا العقيدة المسيحيَّة ويتوقّون لرؤيتها تتوسَّع، وكأعداء لملة محمد، وكل الوثنيِّين والهراطقة، والذين ارتأوا أنَّ من المُناسب أنْ يُرسلوني أنا كريستوفر كولومبس إلى الأجزاء المسمَّاة بالإنديز للنظر في الطريقة المُمكنة لتحويلهم إلى عقيدتنا المقدَّسة"[٣]، وأصبح يرى كولومبس في اكتشافاته الجديدة أنه يُحقِّق ما ورد في سفر إشعياء: "وها أنذا أخلقُ سماواتٍ جديدةً وأرضًا جديدة"[٤].

(١) رضا هلال: المسيح اليهودي ونهاية العالم (المسيحيَّة السِّياسيَّة والأصوليَّة في أمريكا)، مكتبة الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٣٠.

(٢) جوناثان كيرش: تاريخ نهاية العالم، ص١٩٨.

(٣) مايكل برير: الكتاب المقدَّس والاستعمار الاستيطاني (أمريكا اللاتينيَّة جنوب إفريقية، فلسطين)، ترجمة: أحمد الجمل زياد منى، قدمس للنشر والتَّوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م، ص٨٦.

(٤) المرجع السَّابق، ص٨٦.

وزيادةً في إيمانه بعقيدة الألفيَّة السَّعيدة زعم كولومبس أنه يُمكنه أنْ يُحدِّدَ الوقتَ المتبقِّيَ لعودة المسيح بعد أنْ قام بقراءة الكتاب المقدَّس، وذكر بأنَّ نهاية الزمان ستكون بعد ١٥٥ سنة منذ بداية تنفيذه لمشروع كولومبس العظيم(١)، ومع هذا التَّحديد الدَّقيق من قِبَل كولومبس إلا أنه مات ولم يتحقَّقْ هذا الزعمُ ولم يأتِ المسيح، ولم يستطعْ أنْ يعيشَ الألفيَّة السَّعيدة، وبمرور ١٥٥ سنة لم يحدثْ ما تنبَّأ به كولومبس وبدَا أنه كذابٌ ولصٌّ من لصوص الكنيسة.

والعجيبُ أنَّ هذه الأفكارَ التي تبنَّاها كولومبس لم تمتْ بموته، ولم تكنْ جزءًا من الماضي وفقط لكنها ما زالت إلى هذا الوقت يُؤمن بها كثيرٌ من أتباع الكنيسة والفكر الصليبيِّ، فهناك – مثلًا – القسُّ الأمريكيُّ بات روبرتسون الذي دائمًا ما يهاجم الإسلام والمسلمين، يتبنَّى فكر كولومبس، وما زال يُطالب الولاياتِ المتحدةَ الأمريكيَّة بتبنِّي أفكاره ومخطَّطاته القديمة ضدَّ الشعوب الإسلاميَّة، ففي عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م بدأ يروِّج لفكرة الألفيَّة السَّعيدة وقرب نهاية التاريخ وعودة المسيح للمرَّة الثانية، ودوَّن هذه الأفكار في كتاب له يُسمَّى: "النظام الدولي الجديد"(٢)، وهي الأفكارُ نفسُها التي تبنَّاها كولومبس عن طريق السماء الجديدة والأرض الجديدة(٣)، والكاتبة جريس هالسل ذكرت العديد من الأدلة على أنَّ العديد من دول الغرب وخاصَّة الولايات المتحدة من أكثر الأمم اهتمامًا بالدين، وفي الداخل الأمريكيِّ العديد من الأصوات التي تُؤمن بعودة

(١) فؤاد شعبان: من أجل صهيون، ص٣٨.

(٢) رضا هلال: المسيح اليهودي ونهاية العالم (المسيحيَّة السياسيَّة والأصوليَّة في أمريكا)، ص٩.

(٣) المرجع السَّابق، ص٩.

المسيح عاجلًا، وهذا التيارُ على استعدادٍ لارتكاب كثيرٍ من الأخطاء والقتل في سبيل هذا الاعتقاد(١).

وهذا التيار داخل الولايات المتحدة الأمريكيَّة تغلغل إلى أواسط عدة، فقد أجْرت الكاتبة الصحفيَّة جريس هالسل حوارًا مع أحد قادة الجيش الأمريكيِّ، وهو الجنرال كلايد، وكان السؤال: هل تتصوَّرُ أنَّ المسيح سوف يعود ويقود جيشه لتوجيه الضَّربة القاصمة للأعداء؟ فكانت الإجابة: نعم، سوف يعود، وتكون ضربته هي الأولى، وهذه الضَّربة ستكون أعنفَ من الضَّربة النوويَّة، وأنه سوف يعود ليُحقِّقَ في الأرض مبدأ السلام العالمي، ويسود حكمُ الله في هذه المعمورة، وسوف يفعلُ ذلك من مركز حكمه، وهو القدس، وأنَّ اليهود سيعترفون به كمخلِّص لهذا الكون(٢).

وهذه العقيدةُ آمنَ بها الرئيسُ الأمريكيُّ رونالد ريجان، ففي عام ١٩٧١م حين أعلن عن قرب عودة المسيح، وأنها لم تعدْ بعيدةَ المنال، وتخيَّل بعضُ المتابعين والمؤمنين بهذه العقيدة أنَّ ذلك سيحدث في أقلَّ من عام، ولكن انتهى العام، وانتهت كذلك حياةُ ريجان، ولم يَعُدْ المسيح حتى أصبح الحديثُ عن هذه العودة مادَّةً للسُّخْرية والهزل، فيذكر القسُّ إكرام لمعي: أنَّ "اهتمام الرئيس ريجان بهذه

(١) سفر الحوالي: قراءة تفسيريَّة لنبوءات التوراة عن نهاية دولة إسرائيل، مجلة المحجة، العدد ١٧١، ٢٤ مايو ٢٠٠٢م.

(٢) جريس هالسل: النبوءة والسِّياسة، ترجمة: محمد السماك، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٤.

العقيدة جعلتْ مُوظَّفي البيت الأبيض يشعرون بالرعب والخوف من تأثير هذه العقيدة في عمليَّة اتِّخاذ القرار داخل أروقة القيادة الأمريكيَّة"[١].

وهذا الاعتقاد بعودة المسيح جعل كثيرًا من رجال الكنيسة يُؤمنون بأنَّ الله قد قضى على هذا الجيل في الوقت الحاضر أنْ يُدمِّرَ هذه المعمورة في سبيل الوصول لعودة المسيح، والعدّ التنازليّ قد بدأ لها كما آمن بذلك القس هال ليندسي[٢].

وبهذه الطريقة سيطرت عقيدةُ الألفيَّة السَّعيدة – بما فيها من أعمال الصِّراع والتَّخريب والقتل – على الصِّراع مع المسلمين، كما آمنَ بهذه الفكرة جنودُ الحملة الصَّليبيَّة الأولى في العصور الوسطى، وكان لها أبلغُ الأثر في توجيه الجنود الذين يحملون الصليبَ معهم في حملتهم على العالم الإسلاميِّ، وهي نفسُ العقيدة التي تحرَّك بها رجالُ السِّياسة والحرب في الغرب خلال العصر الحديث كما حدث عند غزو العراق، فقد تحدَّث السِّياسيُّ الأمريكي بيتر و. غالبريث في كتابه نهاية العراق والذي كتب فيه روايةً على لسان أحد رجال القوات الأمريكيَّة المُشاركة في الحرب؛ يقول فيها: "أرجو ألا أكونَ أحدَ المسؤولين عن بداية اندلاع معركة النهاية"[٣].

(١) القس إكرام لمعي: الاختراق الصهيوني للمسيحيَّة، ص٢٠٢.

(٢) جريس هالسل: النبوءة والسِّياسة، ص٣٨.

(٣) بيتر و. غالبريت: نهاية العراق (كيف تسبَّب القصورُ الأميركيُّ وإشعال حرب لا نهاية لها؟)، ترجمة: إياد أحمد، الدار العربيَّة للعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص١٢٠.

الخاتمة والنتائج

١- يُعَدُّ القرنُ الرابعُ الميلاديُّ هو العصر الذهبي لعقيدة الألفيَّة السَّعيدة.

٢- اعتمدتْ عقيدةُ الألفيَّة السَّعيدة أو ما يُطلق عليها المبعث الثاني للمسيح على أساطيرَ مكذوبةٍ، وخرافاتٍ ملفقةٍ ومُزيَّفةٍ لجذب كثير من المؤيِّدين.

٣-أثبتتْ الحملاتُ الصَّليبيَّةُ على العالم الإسلاميِّ والتي هدفت لاحتلال بلاد الشرق الإسلاميِّ أنها كانت تُمثِّل بدايةَ التمهيد لعودة المسيح العودةَ الثانية، والتي تمهِّد لتحقيق عقيدة الألفيَّة السَّعيدة.

٤- تعلَّقت قلوبُ العديد من الأوروبيِّين في الغرب بعقيدة الألفيَّة السَّعيدة.

٥- تمَّ ربطُ الإيمان المسيحيِّ بعودة المسيح في العقيدة الألفيَّة بقيام دولة صهيون.

٦- ارتبطتْ عقيدةُ الألفيَّة السَّعيدة بالقضاء على الإسلام وأتْباعه، ونهاية المسلمين من هذا العالم.

٧- أثبت البحثُ أنَّ قضيَّة عودة المسيح لحكم العالم من القدس لما يُقدَّر بألف عام، تُعَدُّ قضيَّةً ليس لها أيُّ سند تاريخيٍّ يؤيِّدها من الكتاب المقدَّس، وكلُّ أدلتهم في ذلك غير صحيحة.

٨- أظهرتْ الدِّراسةُ أنَّ استيلاء الصَّليبيِّين على بيت المقدس عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م يعدُّ أكبرَ دليلٍ على عقيدة الألفيَّة السَّعيدة وأصدائها المكذوبة عبر التاريخ، وأنَّ فرسان الصليب كانوا يظنون أنَّ الليلة التالية لسقوط القدس في أيديهم هي الليلةُ الموعودةُ بعودة المسيح مرَّةً ثانية.

٩- بدأ رجالُ الكنيسة من الرهبان والقساوسة منذ عام ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م يروِّجون لنبوءة انتهاء العالم وقرب عودة المسيح العودةَ الثانية، والتي ستكونُ بنهاية الألف سنة.

١٠- أثبت البحثُ أنه قد سيطرتْ حالةٌ من الفزع والقلق على مسيحيِّي أوروبا؛ انتظارًا لتلك الليلة الأخيرة في الألف الأولى من الميلادي.

١١- اعتمد مُروِّجو عقيدة الألفيَّة السَّعيدة على سفر دانيال، وهو سِفْرٌ مُزيَّفٌ ومُزوَّر، وبالتالي فإنه باعتمادهم على هذا السِّفر المزيَّف؛ تكونُ النتيجة الطبيعيَّة هي أنَّ الاعتقاد المسيحيَّ في المجيء الثاني يكونُ بلا جدوى.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة مجد الدين أسامة ت: ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م):

١- الاعتبار، تحقيق: فيليب حتي، د. ف، مكتبة الثقافة الدِّينيَّة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

ابن شداد (يوسف بن رافع أبو المحاسن بهاء الدين ٦٣٢هـ/١٢٣٥م):

٢- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

ابن القلانسي (حمزة بن أسد أبو يعلى التميمي، ت: ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م):

٣- تاريخ دمشق لابن القلانسي، تحقيق: د. سهيل زكار، دار حسان، الطبعة الأولى، دمشق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

المراجع العربيَّة:

إكرام لمعي:

٤- الاختراق الصهيوني للمسيحيَّة، دار الشرق، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

إمام الشافعي محمد حمودي:

٥- الرؤى والأحلام المقدَّسة عصر الحروب الصَّليبيَّة، بحثٌ منشورٌ بمجلة كليَّة اللغة العربيَّة بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد ٣٠ لسنة ٢٠١١م.

أندرو ملر:

٦- مختصر تاريخ الكنيسة، مكتبة الإخوة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٣م.

جمال يحياوي:

٧- سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين (١٤٩٢-١٦١٠م)، دار هومة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

رجب البنا:

٨- صناعة العداء للإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

رضا هلال:

٩- المسيح اليهودي ونهاية العالم (المسيحيَّة السِّياسيَّة والأصوليَّة في أمريكا)، مكتبة الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

سعيد عاشور:

١٠- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربيَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١١- الحركة الصَّليبيَّة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧١م.

سهيل زكار:

١٢- الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصَّليبيَّة، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

طارق منصور:

١٣- المسلمون في الفكر المسيحيّ (العصر الوسيط)، مصر العربيَّة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

عبد الوهاب المسيري:

١٤- الجماعات الوظيفيَّة اليهوديَّة (نموذج تفسيري جديد)، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢م.

عزيزة فوال بابتي:

١٥- موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

علي بن عبد الله الدفاع:

١٦- رواد علم الجغرافية في الحضارة العربيَّة والإسلاميَّة، مكتبة التوبة، السعودية، (د.ط)، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

فايز نجيب إسكندر:

١٧- البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذ كرد (١٠٧١م/٤٦٣هـ) في مصنف نقفور برينيوس دراسة مُقارنة للمصادر، دار الثقافة، الإسكندريَّة، (د.ط)، ١٩٨٤م.

فؤاد شعبان:

١٨- من أجل صهيون (التراث اليهودي- المسيحي في الثقافة الأمريكيَّة)، دار الفكر، الأردن، (د.ط)، (د.ت).

قاسم عبده قاسم:

١٩- الحملة الصَّليبيَّة الأولى نصوص ووثائق، عين للدِّراسات والبحوث، القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠١م.

٢٠- ماهيَّة الحروب الصَّليبيَّة، عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٤٩، مايو ١٩٩٠م.

لبنى رياض عبد المجيد:

٢١- تاريخ أوربا في العصور الوسطى، المنهل، الأردن، ط١، ٢٠١٥م.

محمد مؤنس عوض:

٢٢- صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، عين للدِّراسات والبحوث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

مصطفى عبد الكريم الخطيب:

٢٣- معجم المُصطلحات والألقاب التاريخيَّة، مُؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

نزار صميدة:

٢٤- النصوص الرؤيويَّة الكتابيَّة مجالاتها وتداعياتها على الفكر الدينيّ الكتابيّ قديمًا وحديثًا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

الكتب المترجمة:

باربارا توخمان:

٢٥- الكتاب المقدَّس والسيف (إنجلترا وفلسطين من العصر البرونزيّ إلى بلفور)، ترجمة: منى عثمان، محمد طه، مكتبة الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

بيتر و. غالبريت:

٢٦- نهاية العراق (كيف تسبَّب القصور الأميركيُّ وإشعال حرب لا نهاية لها)، ترجمة: إياد أحمد، الدار العربيَّة للعلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

جريس هالسل:

٢٧- النبوءة والسِّياسة، ترجمة: محمد السماك، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

جورج برناردشو:

٢٨- المسيح ليس مسيحيًّا، ترجمة: جورج فتاح، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.

جوناثان ريلي سميث:

٢٩- الحملة الصَّليبيَّة الأولى وفكرة الحروب الصَّليبيَّة، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

جوناثان كيرش:

٣٠- تاريخ نهاية العالم (كيف غيَّر أكثر أسفار الكتاب المقدَّس إثارةً للجدل حضارة الغرب؟)، ترجمة: عبد الوهاب علوب، مكتبة الشروق الدوليَّة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

جون فيفر:

٣١- الحرب الصَّليبيَّة الثانية (حرب الغرب المستعرة مجددًا ضد الإسلام)، ترجمة: محمد هيثم نشواتي، منتدى العلاقات العربيَّة والدوليَّة، الدوحة، قطر، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

عزيز سوريال عطية:

٣٢- الحروب الصَّليبيَّة وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فيليب صابر سيف، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية، (د.ت).

فوشيه الشارتري:

٣٣- تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسلي، دار الشروق، عمَّان، الأردن، (د.ط)، ١٩٩٠م.

كارين أرمسترونج:

٣٤- الحرب المقدَّسة الحملات الصَّليبيَّة وأثرها على العالم اليوم، ترجمة: سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، ٢٠٠٥م.

كلود كاهن:

٣٥- الشرق والغرب زمن الحروب الصَّليبيَّة، ترجمة: أحمد الشيخ، سيناء للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

مارك غراهام:

٣٦- كيف صنع الإسلام العالم الحديث؟، ترجمة: عدنان خالد عبد الله، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

مايكل برير:

٣٧- الكتاب المقدَّس والاستعمار الاستيطاني (أمريكا اللاتينية جنوب إفريقية، فلسطين)، ترجمة: أحمد الجمل زياد منى، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.

نورمان ف. كانتور:

٣٨- التاريخ الوسيط (قصة حضارة البداية والنهاية)، ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للدِّراسات والبحوث، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٧م.

هاينكه زودهوف:

٣٩- معذرة كولومبس لستَ أولَ من اكتشف أمريكا، ترجمة: حسين عمران، العبيكان، الرياض، السعوديَّة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

والتر ماكدوجال:

٤٠- أرض الميعاد والدولة الصَّليبيَّة (أمريكا في مُواجهة العالم منذ ١٧٧٦م)، ترجمة: رضا هلال، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

وليم الصوري:

٤١- تاريخ الحروب الصَّليبيَّة الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، ١٩٩٠م.

يوشع براور:

٤٢- الاستيطانُ الصليبيُّ في فلسطين (مملكة بيت المقدس اللاتينيَّة)، ترجمة: عبد الحافظ البنا، عين للدِّراسات والبحوث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

الأبحاث والرسائل العلميَّة:

رياض حمود السعدون:

٤٣- اليهود والاضطراب السِّياسي في روما ١١٣٠-١١٣٨م، مجلة كليَّة التربية، واسط، العراق، العدد ١٥، ٢٠١٤م.

سفر الحوالي:

٤٤- قراءة تفسيريَّة لنبوءات التوراة عن نهاية دولة إسرائيل، مجلة المحجة، العدد ١٧١، ٢٤ مايو ٢٠٠٢م.

المراجع الأجنبيَّة:

٤٥- AA Vasiliev, History of the Byzantine Empire.

٤٦- Quoted In: R. pernoud, The Crusades ,trans by Mcleod (London ١٩٦٢